مطرانية مغاغة والعدوة
للأقبـــــاط الأرثوذكـــس

سكرتارية المطرانية
صادر /
مرفقات /
التاريخ ١٨ / ١ / ٢٠٠٩ م
رسالة رعوية « ٣ - ٢٠٠٩ »

المعمودية والبصيرة الروحية

الآباء الكهنة الموقرين , وأعضاء اللجان العامة والفرعية الكرام , والشمامسة , والخدام والخادمات , وكل الشعب المحب للمسيح فى كافة كنائس الإيبارشية.
أهنئكم جميعاً تهنئة قلبية ، بمناسبة بعيد الغطاس المجيد , أعاده الله عليكم وعلى جميع الناس ، بالخير والبركة والسلام .
إننا نتذكر فى هذا العيد المبارك ، معمودية السيد المسيح ، من القديس يوحنا المعمدان ، وبالرغم من أنه ليس فى حاجة إلى عماد مثل بقية الناس ، لأن معمودية يوحنا ، كانت معمودية للتوبة . فالناس إذن فى حاجة إلى تلك المعمودية لغفران خطاياهم . أما المسيح ليس فى حاجة إليها لأنه الله الظاهر فى الجسد ، ومعصوم من الخطأ ، ومانح الغفران , لكنه أعتمد ، لكى نتبع خطواته ونتعلم منه ونعتمد مثله : « تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفسكم » (مت ١١ : ٢٩) .
لأن لنا فى المعمودية فوائد كثيرة ، ومن بينها : البصيرة الروحية .
كما هو واضح فى شهادة معلمنا يوحنا الرسول : « نعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ، ونحن فى الحق فى أبنه يسوع المسيح ، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » (١ يو ٥ : ٢٠) .
❖ ومن هنا نظراً لأن المعمودية تعطى بصيرة روحية للمُعمد ، نجد أن فصل إنجيل أحد التناصير الذى يُقرأ علينا فى تلك المناسبة ، فهو الإصحاح التاسع من إنجيل معلمنا يوحنا الرسول، وفيه يذكر المولود أعمى، الذى خلق له المسيح عينان ومنحه البصر .
❖ وهذا يتضح لنا من شهادة القديس يوحنا الرسول : « تفل على الأرض ، وصنع من التفل طيناً ، وطلى بالطين عينى الأعمى . وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام ، الذى تفسيره مُرسل ، فمضى وأغتسل ، وأتى بصيراً » (يو ٩ : ٦ ، ٧) .
كما أنه المولود أعمى يؤكد على انه كان أعمى ، وأن المسيح كخالق منحه العينان والبصر بعد الأغتسال ، وذلك فى إجابته على سؤال اليهود : « كيف أنفتحت عيناك . أجاب وقال إنسان يُقال له يسوع صنع طيناً وطلى عينى وقال لى اذهب إلى بركة سلوام واغتسل . فمضيت وأغتسلت فابصرت » (يو ٩ : ١٠ – ١٢) ، (يو ٩ : ٢٥) .
❖ ولأن المسيح كخالق لأعين البشر الجسدية والروحية ، وواهب لهم الأبصار ، قال لتلميذى يوحنا المعمدان : « اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون » (مت ١١ : ٤ ، ٥) ، (مت ١٥ : ٣١) ، (لو ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .
❖ ومن الأمثلة التى تشير إلى أن المعمودية تعطينا البصيرة الروحية ، الحديث الذى دار بين حنانيا الرسول وشاول الطرسوسى قبل معموديته : « قد أرسلنى الرب يسوع ، الذى ظهر لك فى الطريق ، الذى جئت فيه لكى تبصر وتمتلئ من الروح القدس . فللوقت وقع من عينيه شئ كأنه قشور ، فأبصر فى الحال ، وقام وأعتمد » (أع ٩ : ١٧ ، ١٨) .
فالمسيح إذن من خلال عمل دمه الطاهر ودور الروح القدس والماء فى المعمودية ، أعطانا البصيرة الروحية لأرواحنا وضمائرنا وقلوبنا وعقولنا وعيوننا الجسدية ، مطوباً إيانا قائلاً لنا : « طوبى لعيونكم لأنها تبصر ، ولآذانكم لأنها تسمع . فانى الحق أقول لكم إن أنبياء وأبرار كثيرين ، أشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا ، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » (مت ١٣ : ١٦ ، ١٧) .
فلنحترس يا أخوتى ، ولنعرف قيمة هذه النعمة التى اعطيت لنا فى المعمودية ، لكى تكون سبب بركة لنا ، لا سبب دينونة .

❖❖❖❖❖❖❖ ❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖ ❖❖❖❖❖❖

أما إذا كنا لم ننل نعمة سر المعمودية حتى الآن ، فلنسرع لنوال نعمة هذا السر ، لكى نحصل على عطية البصيرة الروحية ، لأننا بدونها نحن عميان : « أشير عليك أن تشترى منى ذهباً مُصفًّى بالنار لكى تستغنى ، وثياباً بيضاً لكى تلبس ، فلا يظهر خزى عريتك ، وكحِّل عينيك بكُحلٍ لكى تُبصر » (رؤ ٣ : ١٩) .

من جانب آخر ، يعوزنا أن نتكلم ولو قليلاً عن :

عطايا البصيرة الروحية :

فبكوننا قد تعمدنا ، فنحن حصلنا على البصيرة الروحية وعطاياها ، ففى مقدمة هذه العطايا هى :

١ - معرفة الحق , والحق هو الله .

يقول لنا معلمنا يوحنا الرسول فى هذا الجانب : « نعلم أن أبن الله ، قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ، ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح ، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » (١ يو ٥ : ٢٠) .

وبكوننا عرفنا الحق الذى هو الله وأبصرناه :

٢ - أبصرنا الله النور العظيم .

الذى ينير عيوننا وطرقنا : « الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نوراً عظيماً ، والجالسون فى كورة الموت وظلاله , أشرق عليهم نور » (مت ٤ : ١٦) .

لذلك من هنا فى قطعة صلاة باكر فى الأجبية , نصلى ونقول للمسيح : « أيها النور الحقيقى , الذى يضئ لكل إنسان آت إلى العالم » .

ومن الجوانب الجوهرية فى عطايا البصيرة الروحية لنا هو :

٣ - معاينة الله والشهادة له .

هذا يتضح لنا من حديث حنانيا الرسول مع شاول الطرسوسى : « إله آبائنا انتخبك ، لتعلم مشيئته ، وتبصر البار ، وتسمع صوتاً من فمه . لأنك ستكون شاهداً ، لجميع الناس بما رأيت وسمعت . والآن لماذا تتوانى قم اعتمد واغسل خطاياك ، داعياً باسم الرب » (أع ٢٢ : ١٤ – ١٦) .

ومجال دور البصيرة الروحية على الفضائل الروحية ، فهو متسع جداً ، وله علاقة بنقاوة القلب ، التى هى مطلب من متطلبات معاينة الله فى الأرض والسماء : « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) .

لا يفوتنا أن نشير إلى العلاقة الروحية ، التى بين :

٤ - البصيرة الروحية والاستنارة الداخلية .

بلا شك هناك علاقة بين البصيرة الروحية والاستنارة الداخلية ، لأن البصيرة الروحية لها دور أساسى فى الاستنارة الداخلية ، إذ قال القديس بولس الرسول : « مستنيرة عيون أذهانكم ، لتعلموا ما هو رجاء دعوته ، وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين ... » (أف ١ : ١٨) .

وكما أن البصيرة الروحية لها دور على استنارة الذهن ، فلها أيضاً أدوار فى استنارة القلب والضمير والروح والعينان .

بالإضافة إلى ذلك ، البصيرة الروحية لها :

٥ - علاقة بالخبرة الروحية والتمييز .

بلا شك نستقى الخبرة الروحية من جوانب كثيرة فى الحياة، لكن لا غنى عن دور البصيرة الروحية فى منح الخبرة .

كما أنه لها دور فى التمييز بين معرفة مشيئة الله من المشيئة الإنسانية، وطريق الله من طريق اللعالم. كما أنها تفيدنا فى مقاومة حيل إبليس المتنوعة المتقدة ناراً .

٦ - هناك ربط بين البصيرة الروحية وتبعية المسيح والتلمذة عليه .

أعطتنا المعمودية هذه النعمة داخلنا ، ولها دور فى مساعدتنا على تبعية المسيح والتلمذة عليه ، كما يذكر الكتاب: « وتبعه جمع كثير , لأنهم ابصروا آياته , التى كان يصنعها فى المرضى » (يو ٦ : ٢) .

لا ننكر دور البصيرة الروحية :

❖❖❖❖❖❖❖ ❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖ ❖❖❖❖❖❖

٧ - فى نوال خلاص المسيح ومعاينته .

كما ذكر القديس سمعان الكاهن فى تسبحته , وقت أن حمل المسيح وهو طفل قائلاً له: « عينىَّ قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب . نوراً إعلان للأمم ومجداً لشعب إسرائيل » (لو ٢ : ٣٠ – ٣٢).

أخيراً البصيرة الروحية لها دور فى أن :

٨ - نعاين الله وملكوته .

كما ذكر السيد المسيح له المجد: « الحق الحق أقول لكم إن كان أحد لا يولد من فوق , لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٣) .

فمن خلال المعمودية ننال البصيرة الروحية , ونرث ملكوت الله , ونعاين الله صاحب الملكوت , وملك الملكوت , ورئيس الملكوت .

ختاماً أننى لا أنكر عليكم أيها الآباء والأبناء الأحباء ، بأن نعمة البصيرة الروحية التى نلناه من عطايا سر المعمودية لنا ، قد تتأثر بأخطائنا الفعلية لكننا لا نفقدها ، لأنها عطية مبنية على سر المعمودية، الذى لا يُعاد ولا يُفقد بسبب الأخطاء الفعلية .

إنما هذه البصيرة قد تتأثر سلبياً بأوساخ الخطية ، لكن بالتوبة يتم غسلنا وتنظيفنا من هذه الأوساخ , بما فيه ما جاء على بصائرنا الروحية .

فمن هنا قال معلمنا القديس بولس الرسول : « قد لبستم الإنسان الجديد , الذى يتجدد » ، والمقصود بهذا الكلام , يعنى الإنسان الجديد بعد المعمودية ، أما عن الذى يتجدد , فهو يقصد به التجديد الذى يحصل عليه الإنسان بعد التوبة .

فالمطلوب منا المحافظة على نعم المعمودية , التى حصلنا عليها بما فيها نعمة البصيرة الروحية .

نطلب من الله البركة والسلام لبلادنا مصر ولمنطقة الشرق الأوسط والعالم اجمع .

وكل عام وأنتم بخير , ولإلهنا المجد الدائم .

تحريراً فى ١٨/ ١ / ٢٠٠٩ م

بنعمة الله

الأنبا أغاثـون

أسقف مغـاغة والعدِوة